مقابلة مع المتطوعين الإسرائيليين الذين يُقلّون المرضى الفلسطينيين ويمنحونهم الأمل

"هآرتس"، دينا كراف، 2018.

تجمع جمعية الطريق إلى الشفاء (Road to Recovery) الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة وتقوم بنقلهم إلى المستشفيات الإسرائيلية للعلاج. قامت صحفية هآرتس بمرافقتهم في الرحلة من الحدود إلى المستشفيات.

قد تبدو هذه اللغة كاستعارة تمثل الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني. تأسست جمعية "الطريق إلى الشفاء" في عام 2006حاملة الأمل ضمن هذا الصراع طويل الأمد والذي يبدو مستعصيًا على الحل، وذلك من خلال تغليب الروابط الإنسانية والنوايا الحسنة الممثلة في هذه الرحلات على الحواجز المادية والنفسية بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

بدأت الفكرة من قبل يوفال روط(Yuval Roth) ، الذي أصبح ناشطًا معروفًا ضمن منتدى العائلات الثكلى من أجل السلام والمصالحة والتسامح – (Parents Circle Families Forum) التي تجمع بين العائلات الثكلى من كلا طرفي الصراع ــ بعد مقتل أخيه في تفجير إرهابي قامت به حركة حماس في عام سنة .1993 وخلال أحد هذه اللقاءات في عام 2005 قابل يوفال روث سيدة فلسطينية لديها أخ مريض. وطلبت منه هذه السيدة أن يقلّ أخاها من حاجز التفتيش إلى داخل إسرائيل لتلقّي العلاج ـــ وانطلقت من تلك الرحلة جمعية غير ربحية تعرض على الفلسطينيين رحلات إلى كلا جانبي حاجز التفتيش، والتي توشك على توسيع نشاطها إلى الضفة الغربية فلا تقتصر خدماتها على قطاع غزة. وكان المطرب الكندي الأسطوري ليونارد كوهين من أول المتبرعين لهذا المشروع.

تصف هذه المؤسسة نفسها كجمعية غير سياسية، تضم متطوعين من تيارات سياسية مختلفة ــ وتشمل ضباط جيش متقاعدين وحتى عدد بسيط من المستوطنين اليهود. ولكن بالنسبة لشخصيات مثل شاليم (Shalem) فإن عملية التطوع بحد ذاتها عبارة نشاط سياسي، فهي تعارض الاحتلال الإسرائيلي، وترى هذه الرحلات كنوع من سبل المعارضة العملية للاحتلال وتصف هذا بتفاؤل كبير.

ويصف علاونة رحلات الذهاب والإياب إلى المستشفيات الإسرائيلية بالمساعدة الكبيرة، فقد عبّر عن مدى تأثره بالمقدار الكبير من الرعاية الصحية التي تلقاها ابنه قيس في إسرائيل بقوله "لا فرق هناك بين إسرائيلي وفلسطيني. فقد عومل ابني كأي ولد من أولئك المتواجدين في المستشفى".

تفتح نيللي غاردين(Neely Gardin) ، 53عامًا، البوابة التي تفضي من منزلها إلى سيارتها في أحد شوارع ضواحي تل أبيب. هذا أول يوم لها كسائقة متطوعة وقد منحت نفسها المزيد من الوقت للوصول إلى حاجز إفاريم، حيث ستلتقي بشاليم (Shalem) – من سيساعدها في حال وجود عقبات أو مشاكل! ومن سيساعدها في التواصل مع الفلسطينيين الذين ستقلّهم إلى المستشفى!

هي لم تزر حاجزًا من قبل وهي لا تعرف أي فلسطيني سواءً من الضفة الغربية أو قطاع غزة. وتعرّف نفسها بأنها في العادة شخص بدون اهتمامات سياسية، ولكنها سمعت عن المؤسسة ورغبت بتقديم المساعدة.

تتوسّط الشمس السماء بينما تقود نيللي سيارتها بمحاذاة كروم الزيتون والحقول الواسعة، وفي النهاية عبر مدينة الطيبة مترامية الأطراف. وعند وصولها إلى حاجز التفتيش وركنها للسيارة تقوم بمناداة نعيم البيضة (Naim Albeida)

يحتاج الفلسطينيون إلى تصاريح لدخول إسرائيل، وغالبًا ما يكون استخراج تلك التصاريح عملية مضنية وبطيئة، وعادة لا تأتي الموافقة الأخيرة إلا قبل يوم واحد من موعد زيارة المستشفى، وإذا وصلوا متأخرين قليلاً تلغى الموافقة. يشرف البيضة (Albeida) المقيم في الضفة الغربية على المعاملات الإدارية للمرضى الفلسطينيين، ويعمل كوسيط بين السلطة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي ومؤسسة الطريق إلى الشفاء (Road to Recovery).

تتبع غاردين (Gardin) تعليمات نعيم البيضة (Albeida) وتلتقي بالمريض الفلسطيني عند الحدود. تقوم بتحية رامي ، 32عامًا، مريض سرطان أتم علاجه ولكنه ذاهب للقيام ببعض الفحوصات في إسرائيل، وترافقه زوجته ووالدته. يبدأ نيللي ورامي بالدردشة باللغة العبرية ويخبرها عن بناته الصغيرات ويريها بعض الصور.

وصرحت غاردين (Gardin) لاحقًا لصحفية هآرتس" أكثر ما أدهشني في العملية هو الشعور الطبيعي بأنها مجرد نشاط يومي أخر"، وأضافت" بأنه ينبغي اعتبار الشخص على الجانب الآخر من الحدود إنسانًا. نحن ندرك هذا من الناحية النظرية، وتبقى مجرد فكرة إلى أن نصبح في حضرة شخص حقيقي. نحن ننسى جميع الأمور المشتركة بيننا، وذلك لتركيزنا على الصراع وكل جانب متمسك بمبرراته الخاصة".

‘An angel, not a person’

ملاك وليس إنسانًا

Kais Alwaneh heading into Sheba Medical Center, Tel Hashomer, after being dropped off at the hospital by Orli Shalem, June 2018. Credit: Dina Kraft

قيس علاونة متوجهًا إلى مركز شيبا الطبي، تل هشومير(**Sheba Medical Center**) بعد نزوله من سيارة أورلي شاليم التي أقلته إلى هناك، حزيران. 2018. تصوير: دينا كرافت(Dina Kraft)

أصبح البيضة (Albeida) أحد أفراد طاقم مؤسسة الطريق إلى الشفاء (Road to Recovery) منذ عدة أشهر فقط، ولكنه يعمل كمتطوع منذ العام 2010، عندما اهتدى بالصدفة إلى المؤسسة خلال بحثه عن طريقة معقولة التكلفة لمساعدة أحد جيرانه بالوصول إلى المستشفيات الإسرائيلية. ويضيف بأنه لم يصدق وجود مثل هذه المساعدة عند سماعه بها للوهلة الأولى، وما زاد اندهاشه رد روط (Roth) عندما اتصل به ورد الأخير "بالطبع، لا مانع. وعلق البيضة (Albeida) بتعجب "لا مانع، ماذا تقصد بلا مانع؟"ــ ولم يصدق البيضة الأمر حتى رافق جاره في رحلته إلى أحد المستشفيات الإسرائيلية.

يتذكر البيضة (Albeida)، المقيم في كفر جيوس (Kafr Jayus) بالقرب من مدينة قلقيلية، وصفه للمتطوعة عند لقائه بها عند المعبر"إنها ملاك وليست إنسانًا". وبعد ذلك، بدأ بالتواصل يوميًا مع روط (Roth) للمساعدة في تنسيق الرحلات.

يشرح البيضة (Albeida) مدى صعوبة الأمر في البداية، حيث كان يعمل في البناء، وغالبًا ما كان يتلقى مكالمات هاتفية طارئة وهو على قمة سلم أو معتليًا لإحدى السقالات. وأضاف أنه طرد مرتين من العمل بسبب تلك المكالمات، وعبر عن عدم ندمه لذلك بقوله " لقد تعارض الأمر مع تركيزي على العمل، ولكن ما العمل؟ ! هناك العديد من الحالات الطبية الطارئة".

ينسب البيضة (Albeida) الفضل في طلاقته باللغة العبرية ليس فقط لعمله لمدة 25 عامًا في مواقع البناء في إسرائيل، ولكن لامرأة تدعى داليا (Dalia)، والتي كانت صديقة والدته عندما كان صبيًّا صغيرًا. كانت والدته تعمل كعاملة تنظيف في إحدى المستشفيات الإسرائيلية، حيث كانت تعمل داليا كممرضة.

وأضاف" أنا أعلم منذ جيل الطفولة المبكرة بأنه ليس جميع الإسرائيليين هم جنود يأتون إلى منازلنا لاعتقالنا، وأن هناك أيضًا أشخاصًا عاديين يمارسون حياتهم الطبيعية. وأن الاحتلال دمّر حياة كلا الطرفين ."وبالإضافة إلى ذلك، يشير البيضة (Albeida) إلى رغبة المتطوعين الإسرائيليين في تعميق وتوثيق الارتباط بالفلسطينيين، ولذلك يقوم بدعوة أشخاص من كلا جانبي الحدود إلى تناول الغداء معه مرة في الشهر بهدف اللقاء، ويقول" بعد كل وجبة نجلس ونتحدث ونناقش مستقبلنا المشترك".

بعد رحلة مدتها ساعة تقريبًا في السيارة، تتوقف شاليم (Shalem) عند مركز شيبا الطبي (Sheba Medical Center). يتذمر قيس في المقعد الخلفي، وبغرض إلهائه تقوم والدته هناء بمداعبته وتقبيل وجهه المحترق. تراقب شاليم (Shalem) العائلة وهي تتوجه نحو مدخل المستشفى مودعة إياهم وتتمنى لهم التوفيق.